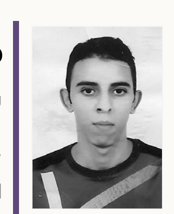
ISSN: 2090 – 0449 Online
UIF Universal Impact Factor, [0.1101].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.02].

العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب
من الفترة الوسيطة إلى التاريخ المعاصر



وليد موحن
باحث في سلك الدكتوراه الحديث والمعاصر
جامعة الحسن الثاني المحمدية
الدار البيضاء – المملكة المغربية

مُلَخّصْ

لقد دأبت الاسطوغرافيا التاريخية المتعلقة بالتأريخ للمجال المغاربي على الجانب السياسي والمعطى الحربي والشأن السلطاني وابتعدت عن المساحلة في النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي تعد رحيق وأس الكاتبة التاريخية المعاصرة حسب ما جادت به المدارس التاريخية الراهنة، وقد قطع هذا الباب أشواطا في الأصقاع الأوربية، وخلف دراسات ثرية، وأطروحات غنية، ومونوغرافيات جزلة ومحكمة استطاعت أن تنكب على الجوانب الخفية من التأريخ للاقتصاد والفرد والهامش وغيرها من التجليات الغائرة. انطلاقًا من هذا المعطى ارتأينا تسليط الضوء على العلاقات التجارية والاقتصادية بين شمال المغرب والمغارب من خلال تتبع مساراتها ومصادرها وأهم تجلياتها من رحيق المادة المصدرية المتوفرة سواء تلك المكتوبة باللغة العربية أو التي حبرتها أيادي غربية من أجل رؤية منسجمة لفحوى هذه العلائق في مدها وجزرها. يطرح البحث في الشق الاقتصادي والتجاري بخصوص المجال المغربي جلة من الإشكالات المنهجية والمعرفية، خاصةً أن "المغاربيون" يعتبرون هذا المجال المومأ إليه مجالاً جغرافي ليست له حدود مرسومة إلى غاية الاستعمار والحماية، وانما ينتمي إلى فلك رئيس هو "العالم الإسلامي– "دار الإسلام" مقابل العالم الغربي– "دار الكفر" مما يطرح صعوبات تتجلى في استكناه المادة المصدرية التي أرخت لهذه الفترة. إن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب بلغت مرحلة كبيرة من الأوج والازدهار انطلاقا من العصر الوسيط كما نستشف من المصادر الجغرافية، أو الفترة الحديثة على الرغم من الصراعات التي كانت قائمة في المنطقة، وخضوع الأقطار المغاربية للسيطرة العثمانية، غير أن هذه المبادلات بلغت مكمن عظيم إبان الفترة المعاصرة وإن كان جزء من المغارب في هذه الفترة فقد استقلاله وسقط في شباك الإمبريالية الفرنسية انطلاقًا من سقوط الجزائر المدوي سنة ١٨٣٠ وما أعقبها من انتكاسات شملت عموم المجال المغربي من ضغوط استعمارية وجوائح وبائية وأفات دنيوية بشكل سلطت عليه الضوء الكتابات السلطانية وما وصلنا من مخطوطات تاريخية ونتف مصدرية.

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال:	٣١	يوليو	٢٠١٧
تاريخ قبـول النشـر:	٢٨	نوفمبر	٢٠١٧

كلمات مفتاحية:
التاريخ التجاري، الرحلات الحجازية، المغارب، التجارة المغربية، شمال المغرب

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0054800

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
وليد موحن. "العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب من الفترة الوسيطة إلى التاريخ المعاصر".- دورية كان التاريخية.- السنة الحادية عشرة- العدد الثاني والأربعون؛ ديسمبر ٢٠١٨. ص٨٢ – ٨٧.

مُقَدِّمَةُ

عرف البحث التاريخي طفرة نوعية باختراقه لما عدة موضوعات تاريخية، وكشفه عن مكنون عدة مصادر دفينة تميط اللثام عن جلة من القضايا الإشكالية على شاكلة الأوضاع الاقتصادية والمبادلات التجارية ونوعيتها. وان كان الفكر التاريخي الأوربي قد قطع أشواط هامة في هذا المضمار، من خلال النهل من نهج مدرسة الحوليات عبر أعمالها الرائدة من طرف جهابذة هذا الاتجاه وعلى رأسهم فرناند

بروديل، ولوسيان فيفر، وجون لوي مييج في بحثه في المجال المغربي.

فان أقطارنا المغاربية لازالت مثل هده الأبحاث تظل في ظل الشح والندرة فجل الدراسات انصرفت إلى الجانب السياسي والدبلوماسي وما باح به من حروب ومعاهدات واتفاقيات، وفي هذا الصدد ووعيا منا بأهمية "التاريخ الاقتصادي" ارتأينا أن نبحث في موضوع "العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب" وهو موضوع ما زال بكرًا، يتطلب البحث والتنقيب بين ثنايا السطور والنتف المنتشرة بين ردهات المصادر والمراجع والمونغرافيات المحلية والوطنية والمغاربية.

فلا غرو أن المبادلات التجارية بين شمال المغرب والمغارب عرفت شأوا عظيمًا برغم من النزر اليسير في بطون المصادر والمراجع، وسنحاول بين متون هذا العرض أن نستجلي هذه العلاقات من خلال التعريف بالمصادر والمراجع التي يمكن النهل منها، وكذا معرفة جغرافية المنطقة باعتبار أن العوامل الجغرافية تلعب أدوار أساسية في تفسير حركية التاريخ خاصةً في شقه الاجتماعي، إضافة إلى تتبع النشاط التجاري بين شمال المغرب والمغارب في بعده الزمني الطويل وذلك بتتبع نشاطه من الحقبة الوسيطية إلى الفترة المعاصرة.

ولا شك أن الميدان التجاري وسليلة الاقتصادي ما زال يعاني من نقص مهول في ميدان الدراسات والأبحاث والأطروحات الجامعية، حيث يشير الأستاذ عمر أفا أن تاريخ التجارة لم يتم التطرق إليها بما تستحق من العناية والاهتمام، فمن خلال ما يزيد عن عشرة ألف وثمانمائة رسالة وأطروحة جامعية في مجالات العلوم الإنسانية بالمغرب منها ألفُ وخمس وسبعون رسالة وأطروحة خاصة بالتاريخ لم يتعرض لتاريخ التجارة حتى الآن غير إحدى عشرة دراسة. هذا بالنسبة لكل الحقب والدول المتعاقبة على تاريخ المغربي.(١) فما بالك بالتاريخ التجاري للمغارب.

١-المادة المصدرية المتعلقة بالموضوع

إن البحث في تاريخ المغارب يطرح عدة إشكالات منهجية تتعلق بطبيعة المادة المصدرية وشحها، حيث يشير الدكتور عثمان المنصوري بأن هناك فقرا في الدراسات المتعلقة بالفضاء المغربي على الرغم من غناه، فما زال الحديث عن هذا النوع من الدراسات من باب الأماني،(٢) وفي السياق نفسه يشير الدكتور محمد حبيدة في كتابه "بؤس التاريخ" أن الدراسات ذات صلة بمجموع المغارب الكبير ظلت ناقصة.(٣) فالباحث والدارس إن أراد استكناه الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية عليه بالصبر والأناة وصبر أغوار المصادر والتنقيب بين ثناياها. ومن المصادر التي يمكن أن تشكل ينبوع يمتح منه الباحث مدته نذكر:

١/١-ينبوع الرحلات الحجازية إلى الأراضي المقدسة

عرفت العلاقات المغربية المشرقية امتدادًا روحيًا وتواصلاً ثقافيًا منذ فترات مبكرة، حيث شكلت الرحلة إلى بلاد الحجاز لأداء فريضة الحج هاجسا لدى معظم المغاربة، خاصتهم وعامتهم، وقد دأب بعض العلماء المغاربة خلال فترات مختلفة من تاريخ المغرب على تدوين رحلاتهم في أسلوب أدبي متين،(٤) ومن هنا من الممكن أن يقتنص الدارس بعض القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أوردها هؤلاء الرحالة في معرض رحلتهم عن بلدان المغارب. حيث كان الركب ينحو إلى مصر عبر الجزائر وتونس وطرابلس وبذلك يكتسي هذا الركب أهمية تجارية قصوى.(٥)

٢/١-المصادر الرئيسة

كتبت المصادر الرئيسة أساسًا في البلدان المغاربية من أجل الحديث عن الحياة السياسية ومناقب وسجايا السلطات الحاكمة، وهذا لا يمانع أن هذه المصادر تضم بين طياتها معطيات ثرية حول الحياة الاقتصادية والمبادلات التجارية في خضم ما باحث به.

٣/١-المصادر الجغرافية

بما تضمنته من أوصاف مجالية ومعطيات طبيعية، تحفل مثلاً هذه المصادر ببعض المعطيات الاقتصادية والتجارية التي تغني البحث في تاريخ المغارب منها.

- ابن حوقل: صورة الآراض
- المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم
- البكري: المسالك والممالك
- الحسن الوزان: وصف أفريقيا
- مارمول كاربخال: أفريقيا

٤/١-المراجع

ما زال البحث التاريخي المغاربي يعوزه التنقيب في قضايا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، مع وجود بعض المحاولات الجادة من نظير:

-فاطمة بلهواري، التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط، منشورات الزمن، الدار البيضاء، ٢٠١٠.

-إدريس بوهليلة، الجزائريون في تطوان خلال القرن ١٣هـ-١٩م، مساهمة في التاريخ الاجتماعي للمغرب الكبير، منشورات الشباك، تطوان، ٢٠١٢.

Vanacker, C., «Géographie économique de l'Afrique du Nord», in Annales, S.E.C, 1973

٢-المعطيات الطبيعية للمغارب

لا بد لنا ونحن ندرس النشاط الاقتصادي لبلاد المغرب من تأييد ما قاله أحد الباحثين، من أن أي نشاط تجاري لمجتمع ما يتطلب الإحاطة بالبيئة الطبيعية، ونوعية العناصر التي يتكون منها، لأن العملية الاقتصادية هي تفاعل الإنسان مع بيئته،[٦] والإنسان نتاج طبيعته.

تشكل بلاد المغارب وحدة جغرافية متميزة عن بقية أجزاء القارة الإفريقية، وقد كان لطبيعة الأرض ونوع المناخ تأثير في توزيع المياه ومناطق الاستقرار فيها، وبالتالي في أنشطتها الاقتصادية، وتتكون تضاريسها من سلاسل جبلية وهضاب وصحراء، وتتخللها أودية، وأنهار، وعيون، لذا يمكن تقسيم بلاد المغرب جغرافيًا إلى ثلاثة أقسام رئيسة، وهي المنطقة الساحلية، والجبلية، والصحراوية.[٧] وتمتد المنطقة الساحلية على طول شواطئ البحر الأبيض المتوسط حتى مدينة طنجة واعتبرت هذه المنطقة تجمع بشري منذ زمن مبكر. وتوجد بجانب السهل الساحلي منطقة سهول داخلية، وغالبًا ما تكون منفصلة ومنقطعة في صورة تلال، كسهل فاس ومكناس، وتلمسان وبني سليمان بالجزائر، وباجة في تونس، وقد ساعدت هذه السهول على امتداد الطرق التجارية بين مدن بلاد المغرب المختلفة خلال العصر الوسيط.

أما المنطقة الجبلية فتمتد من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، ولعل أهمها في موضوعنا هي الريف في شمال غرب المغرب، والتل في الجزائر وتونس. في حين تعتبر المنطقة الصحراوية القسم الأكبر من بلاد المغرب، فتمتد من واحات برقة، وفزان، وزويلة، وورجلان، إلى سجلماسة[٨]، أما شمال المغرب فلا توجد فيه صحاري على غرار باقي بلدان المغرب القاحلة، ومع ذلك فإن الينابيع والواحات تنتشر في أغلب المواضع، وبفضلها أمكن للقوافل التجارية أن تخترق هذا المجال. أما بخصوص المناخ فهو متمايز بين المتوسطي والصحراوي. وتتوزع الخريطة البشرية لبلاد المغرب بين قبائل بربرية وعربية وأفارقة وسودان، وكان لهذه التشكيلة دور مهم في المجالات الاقتصادية المختلفة.

٣-العلاقات الاقتصادية بين شمال المغرب والمغارب: العصر الوسيط

يطرح البحث في الشق الاقتصادي والتجاري بخصوص العصر الوسيط جلة من الإشكالات المنهجية خاصةً أن المغاربة شأنهم بذلك شأن باقي المسلمين كانوا لا يعتبرون أنفسهم أجانب بالبلاد الإسلامية بحكم الشعور الذي تعمق لديهم بالانتماء إلى الدار نفسها. فجل المبادلات كانت قائمة مع الأقطار الأوربية، وقد أشار كانرد (CANAR) أن الرسائل التي كانت متبادلة بين المسلمين ونظرائهم في باقي أقطار الإسلام لم تحمل البتة أية هموم تجارية تذكر.[٩]

ولا نعدم الإشارات المصدرية بخصوص الفترة الوسيطية في بعض المصادر الجغرافية بخصوص العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب، حيث يذكر ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" عن مدينة البصرة[١٠] بأن القطن كان منتشرًا في أرجائها معروفة بالمتاجرة فيه وتصديره إلى مجموعة من المناطق من بينها "أفريقيا" حيث يقول: "مدينة مقتصدة عليها سور ليس بالمنيع ولها مياه عن خارجها من عيون عليها بساتين من شرقيها ولها غلات كثيرة من القطن المحمول إلى إفريقية وغيرها ومن غلاتهم القمح والشعير والقطاني وسهمهم من ذلك وافر.[١١] كما اشتهرت المدينة بكثرة الثروة الحيوانية فيها ورحابة مراعيها، وإنتاجها للألبان حتى سُميت في متون المصادر "بمدينة الألبان" على حد تعبير أبي عبيد الله البكري ولا نستبعد تصديرها إياه إلى سائر المغارب على شاكلة القطن.

كما حملت من فاس البرانس المديونية إلى سائر المغرب كما كان يصدر فائض الذهب بسلجلماسة إلى شتى الأقطار الأوربية والمغاربية انطلاقا من ميناء أصيلا وسبتة، وتخبرنا الرحلات الحجازية أن النحاس كان يصدر من المغرب إلى المشرق عبر قوافل الحجيج المتجه إلى بيت الله، وبما أن المناطق المغاربية طريق رئيسة في مسار الرحلات المكية، فقد انتشرت تجارة النحاس بها. بالإضافة إلى ذلك كانت المواشي ضمن الصادرات وشملت طلبات المشرق من المغرب الأقصى، ناهيك على التمور، والقرظ، واللبودة، والبزاة السود. ومن هذا يمكن لنا أن نتبين أن القوافل التجارية

وخط سيرها من المغرب الأقصى عبر المغارب إلى المشرق كان مرتعًا تجاريًا غنيًا ما زال في حاجة ماسة إلى البحث والتنقيب.[١٢]

كما عرفت هذه المبادلات التجارية عدة صراعات وحزازات بين السكان[١٣] في هذه الأقطار، فهذا ابن عذارى المراكشي يحدثنا أن رجلًا من جند كتامة قام على رجل من تجار أهل القيروان، فلما دافعوه عنه، شهروا عليهم بالسلاح، وأردوا نهب الحوانيت. وكذلك قضية أوردها الونشريشي ضمن نوازله حول قضية عقارية وتجارية وقعت بين أحد التلمسانيين ونظراءه المغاربة في مدينة فاس عام ٨٧٩ هـ.

وقد شكلت المنتوجات الزراعية نسبة كبيرة من قائمة التبادل التجاري بين أقاليم المغرب الثلاثة، خاصةً وأن الكثير من مدن المغارب التي كانت تنتج المحاصيل الزراعية بأنواعها وهذا ينطبق على التجارة بين المغرب الأقصى وإقليمي المغرب الأوسط والأدنى. فقد حمل الفستق من مدينة قفصة إلى المغرب الأقصى. أما غلات الزيتون والزيت والتي اشتهرت بإنتاجها مدينة سفاقس في المغرب الأدنى فكانا يحملان إلى مدن أقاليم المغرب. كما عرفت مدن المغرب الأوسط مثل بونة وزلو بإنتاجها الوافر للحنطة والشعير ومدينة ادبس بإنتاجها الواسع للزعفران،[١٤] وإن كنا لا نملك إشارة صريحة إلى تصديره غالى شمال المغرب المتوسطي بالذات ذلك أن المصادر اكتفت بذكر بلاد المغرب الأقصى دون مدنه إلا في حالة شاذة مثلًا ذكر مدينة البصرة السالفة الذكر. ولا شك أن ميدان المبادلات التجارية خاصة في الحقبة الوسيطية في حاجة ماسة إلى اختراق المصادر الدفينة من كتب النوازل والتراجم والمناقب والطب والفلاحة وغيرهم.

٤-العلاقات التجارية في الفترة الحديثة

أضحى المغارب من الناحية السياسية في الفترة الحديثة ذا وضعية اعتبارية خاصة، فالمغرب الأقصى استقر به الحال بعد فوضى مجالية إلى حكم الأشراف السعديين ونظرائهم العلويين، والمغربين الأوسط والأدنى أصبحا داخل نطاق الدولة العثمانية، وقد نشطت الرحلات الحجازية بصفة وازنة إبان هذه الفترة، فلا نعدم الرحلات التي قطعت المغارب في اتجاه البقاع المقدسة محملة بشتى ضروب وأنواع السلع التي صرفت جلها في أقطار المغرب عند استراحاتها.

ومن الرحلات التي انطلقت من قاعدة تطوان نذكر: رحلة ابن عثمان المكناسي، ورحلة الرافعي التطواني، فقد ظهر حسب الأستاذ مصطفى الغاشي نوع من التعامل التجاري بين الحجاج والسكان المحليين، بحيث كانت القوافل محملة ببعض البضائع التي يمكن ترويجها مع سكان المناطق التي يمر منها الركب[١٥]، فيقول أبي سالم العياشي: "فإذا أخذت في تجهيز أمرك فاشتر شيئًا من الجلد الأحمر فهو نافق أمامك".[١٦] ومن البضائع التي كانت منتشرة كثيرة في قوافل الحجاج برًا وبحرًا "القرنفل والكحل والسواك والزعفران والجاوي والمشط وشيء من الإبر والكاغذ".[١٧] وفي مدينة مليلية وصل مركبًا من الجزائر يحمل (١٢) أثني عشر مدفعًا ثقيلًا لأنجاد حسن باشا الذي كان يحاصر مدينة فاس وذلك عام ١٥٥٨م، وقد اهتم أتراك الجزائر بهذا الحسن وسموه بالميناء الجديد.[١٨]

والملاحظ في الفترة الحديثة أن التجارة والاقتصاد تراجعًا بشكل كبير ومهول بفعل الأوبئة والمجاعات التي كانت ضاربة أطنابها، والحروب التي كانت أوبتها شامخة، والظروف السياسية المترددة، سواء بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي، أو السلطان العلوي المولى إسماعيل.

٥-العلاقات التجارية في الفترة المعاصرة

برغم أن جل الأبحاث وجهت أنظارها إلى المعاملات التجارية مع الأقطار الأوربية، مقدمة معلومات ضافية حول وارداتها وصادراتها، فإننا لا نعدم المادة المصدرية بخصوص تبودلت التجارية بين شمال المغرب والمغارب في الفترة المعاصرة، والتي ستعرف ضغوطات استعمارية انتهت بسقوط المغرب الكبير في شباك الإمبريالية الأوربية.

وقد لعب مرسى تطوان في القرن الثامن عشر دورًا رئيسًا بحيث أضحى المرسى الوحيد لسائر المنطقة الشمالية، بالإضافة إلى تمتع المدينة بنوع من الاستقلالية عن السلطة المركزية، وفي الوقت نفسه مرفأ بحريًا رئيسًا، وبذلك أضحى مرفأ تطوان الوحيد المؤهل لاستقبال السفن الواردة من الخارج.[١٩] ومن أوجه التجارة بين تطوان والجزائر نذكر أن جزء كبير منها كان يقوم على الوسق فكانت تطوان تصدر نحو الجزائر قسطًا مهمًا من إنتاجها الحرفي مثلًا البلاغي وأنواع الحصير، وقد انتقلت هذه الصناعة إلى الجزائر على يد أسرة الحسيسين التي كان أفرادها ينتقلون بين تطوان ووهران، كما كانت تطوان قاعدة لتزويد الأمير عبد القادر بالأسلحة. بينما كانت تستورد تطوان من الجزائر منتجات الحرير وبعض الأواني الصفرية وكذلك القزذرة.[٢٠]

ومع احتلال الجزائر هاجر إلى تطوان ثلة من الأسر الجزائرية التي عملت على إثراء الحياة التجارية، وإدخال حرف جديدة إلى الحاضنة التطوانية كما أشار الأستاذ إدريس بوهليلة في كتابه "الجزائريون في تطوان". ومن التجار المغاربة الذين حلوا بالقطر الجزائري نذكر محمد السليماني صاحب كتاب "اللسان المعرب عن التهافت الأجنبي على المغرب"، حيث كان يقيم العديد من التجار الفاسيين في قطر تلمسان "،[٢١] ولا يخبرنا صاحب الكتاب عن نوعية التجارة التي كانت سائدة في هذه المدينة. وحسب الأستاذ عكاشة برحاب فانه يستفاد من الوثائق القليلة أن القوافل التجارية المتوجهة من فاس إلى غرب الجزائر كانت تربط بانتظام، أما المواد المنقولة، فبعضها منتجات مغربية من أصل فلاحي (حبوب، ملابس صوفية، جلود خام أو مواد مصنعة، أو جلود مصنعة زيوت، حناء، عسل...).[٢٢]

غير أن الوضع تغيير بعد احتلال فرنسا للجزائر، فأصبحت الجزائر البلد الإسلامي، تعيش في ظل نظام غير إسلامي، فبادر السلطان عبد الرحمان إلى معارضة إقامة علاقة تجارية بين البلدين. وتخوف أن تستعمل التجارة مطية لامتداد النفوذ الفرنسي إلى المغرب.[٢٣] وفي سنة ١٨٦٧، أصدرت السلطات الفرنسية بالجزائر مرسوما نص على إعفاء المنتجات المغربية من أداء الرسوم الجمركية، مع محاولة جادة من طرف بريطانيا من أجل الحد من هذه التجارة وسيطرتها على المبادلات مع موانئ شمال المغرب.[٢٤] كما أن التجارة البحرية بين ميناء سبتة ووهران كانت قائمة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث يخبرنا الرحالة الفرنسي (Henri Duverier) هنري دوفيري، أنه في ١٨ نوفمبر من سنة ١٨٥٢، سيطر الإسبان على مركب محمل بالسلع في حوزة القلعيين متجهًا إلى ثغر وهران.

ويَعتقد بعض الدارسين أن أصول قبيلة بطيوة المستقرة بأرزيو في المنطقة الوهرانية تعود إلى قبيلة بني سعيد الريفية، التي يحتمل أن تكون استقرت في الجزائر منذ القرن الثامن عشر نتيجة المبادلات التجارية التي كانت قائمة خاصةً بين سبتة ومليلية ونظيرتهم وهران، وقد تحدثت الكثير من الدراسات عن هذه الهجرات التجارية وفي مقدمتها.[٢٥]

Auguste Mouliéras, Le maroc inconnu Marquis de Sagonzac; Voyages au Maroc

وقد لعب أيضًا ميناء طنجة دورًا كبيرًا في تصدير واستيراد عدة منتجات سواءً إلى الأقطار الأوربية أو إلى الأسواق المشرقية والمغاربية، حيث يشير الدكتور خالد بن الصغير أنه في سنة ١٨٧٢ تم شحن ما يربو عن ٢٦٤ بالة احتوت على ٧٩٢٠٠ زوجة صدرت نحو الجزائر.[٢٦] وبخصوص إيالة تونس يخبرنا الناصري أن المغرب قدم حمولات تجارية إلى تونس بعد سفارة الرياحي لدى مولاي سليمان الذي وفد إلى فاس في سياق أزمة غذائية طاحنة، طالبًا باسم باي تونس تقديم إمدادات مغربية لمواجهة المسغبة، مما يدل على أن العلاقات بين تونس العثمانية والدولة المغربية كانت قائمة بصفة ودية، ولا شك أن المبادلات التجارية مهمة بين الطرفين.[٢٧]

خَاتِمَةٌ

خلاصة القول، إن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب بلغت مرحلة كبيرة من التطور، انطلاقًا من العصر الوسيط كما نستشف من المصادر الجغرافية، أو الفترة الحديثة على الرغم من الصراعات التي كانت قائمة في المنطقة، وخضوع الأقطار المغاربية للسيطرة العثمانية، غير أن هذه المبادلات بلغت شأوا عظيما في الفترة المعاصرة وإن كان جزء من المغارب في هذه الفترة فقد استقلاله وسقط في شباك الإمبريالية الفرنسية. إن موضوع العلائق التجارية بين شمال المغرب والمغارب، يعد مجالا رحبا للبحث، قد يبوح بعدة معطيات ثرية وغنية عن الحياة الاقتصادية من خلال استقصاء المصادر المحلية والوطنية، والتنقيب في الأرشيفات العثمانية والأوربية، من أجل تحديد طبيعة المبادلات التي كانت قائمة بين هذه الأقطار والمدن المغاربية.

ومن أهم الخلاصات التي توصلنا إليها بين ثنايا هذا العرض المتواضع:

- أن العلاقات التجارية بين شمال المغرب والمغارب كانت قائمة بينة شملت عدة منتاجات أساسية، وبلغت قمتها وشأوها في الفترة الوسيطية.
- أن المادة المصدرية متوفرة بكثرة، تحتاج فقط إلى صبر وأناة في اختراقها، وكشف مكنونها، ورصد زادها، وعدم الاقتصار على المصادر المعرفة، بل ينبغي إماطة اللثام على المصادر الدفينة من كتب المناقب والتراجم والطب والفلاحة وغيرها. إضافة إلى الدراسات الأجنبية التي دونما شك تُعَدّ عمدة في التأريخ لتاريخ المغارب قاطبة، وفي شقه التجاري خاصة.[٢٨]

الهَوامِشُ:

(١) أفا عمر، **التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات ١٨٣٠-١٩١٢**، منشورات مكتبة دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥، ص٧.

(٢) المنصوري عثمان، "**التقارير الختامية عن أعمال ورشات الآيام الوطنية للجمعية المغربية للبحث التاريخي**"، مجلة البحث التاريخي، العدد ٤٤، ٢٠١٥، ص١٢٤.

(٣) محمد حبيدة، **بؤس التاريخ، مراجعات ومقاربات**، دار الأمان، ٢٠١٥، ص٥٤.

(٤) أمعيط نور الدين، **الرحلة المغربية إلى الحجاز خلال العصر الوسيط: رحلة العبدري نموذجًا**"، مجلة أمل، العدد (٤٨).

(5) R .Thomassy. Le Maroc et ses caravanes.Meurtim édition.Paris. P.61 .1845

(٦) عز الدين موسى أحمد، **النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي خلال القرن السادس هجري**، دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٣، ص٣٥.

(٧) بلهواري فاطمة، **التكامل الاقتصادي والمبادلات التجارية بين المدن المغاربية خلال العصر الوسيط**، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠١٠، ص١١.

(٨) مؤلف مجهول، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار: وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب**، تحقيق: عبد الحميد سعد زغلول، جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨، ص١٠٩.

(9) Canard(M); Les relations des Mérinides avec les Memeloukes; Annales des l institut des études orientales; 1939; Paris; P.73.

(١٠) مدينة أسست في الفترة الإدريسية ولعبت أدوار طلائعية، وتحولت في فترة وجيزة من مجرد قرية إلى مدينة عامرة ومركز اقتصادي كبير، تعرضت للاندثار ولم تعد لها قائمة في وقتنا الحالي، تقع على طريق سوق أربعاء الغرب في اتجاه وزان، على بعد حوالي ٤٠ كلم من الساحل الأطلنطي وحوالي ٢٠ كلم جنوب مدينة القصر الكبير.

(١١) حوقل أبي القاسم، **صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ١٩٩٦، ص٨٠.

(١٢) **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ٩-١١م**، رسالة ماجستير تحت أشراف صباح إبراهيم الشيخلي، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص٧٩.

(١٣) المرجع نفسه، ص٨٠.

(١٤) **النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن ٩ هـ -١١م**، مرجع سابق.

(١٥) مصطفى عبد الله الغاشي، **الطرق وظروف الرحلة إلى مكة في الفترة الحديثة – المغرب الأقصى نموذجًا-ضمن المغرب والأندلس دراسات في التاريخ والأركيولوجيا** –تقديم وتنسيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية تطوان، ٢٠٠٦، ص١٦٦.

(١٦) المرجع نفسه، ص١٦٦ نقلاً عن: أبو سالم العياشي "الرحلة الصغرى".

(١٧) المرجع نفسه، ص١٦٧.

(١٨) عبد العزيز بنعبد الله، **تاريخ المغرب العصر الحديث والمعاصر**، الجزء الثاني، مكتبة السلام، الدار البيضاء، دون سنة النشر، ص٨٠.

(١٩) عبد العزيز سعود، **تطوان في القرن الثامن عشر: السلطة-المجتمع-الدين**، منشورات جمعية تطاون أسمير، مطبعة الخليج العربي، ط١، تطوان، ٢٠٠٧، ص١٩٥.

(٢٠) عبد العزيز سعود، **تطوان في القرن التاسع عشر**، مطبعة الحداد يوسف إخوان، تطوان، ١٩٩٦، ص٤٣ .

(٢١) محمد السليماني، **اللسان المعرب عن التهافت الأجنبي حول المغرب**، مطبعة الأمنية، الرباط، ١٩٧١، ص١٥٦.

(٢٢) عكاشة برحاب، **مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر ١٨٣٠-١٩٠٧**، ضمن ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، جامعة الحسن الثاني، الجزء (٢)، الدار البيضاء، ١٩٨٩، ص٢٤٧.

(٢٣) المرجع نفسه نقلاً عن: أطروحة عبد الرحمان الموذن ايناون والمخزن ١٨٧٣-١٩٠٧، رسالة جامعية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ص٤٢٠.

(24) Miége J.L;Le Maroc et L Europe 1830-1894; P.U.F; Paris,1962, T2, P.267.

(٢٥) ميمون أزيزا، هجرة أهل الريف إلى الجزائر بين قساوة الطبيعة وعنف الاستعمار (١٨٥٦-١٩٥٦) ضمن ندوة العنف في تاريخ المغرب، أشغال الأيام الوطنية (٢١) للجمعية المغربية للبحث التاريخي ١٤-١٦ نونبر ٢٠١٣، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ٢٠١٣، ص١٤.

(٢٦) خالد بن الصغير، **الحركة التجارية بمرسى طنجة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر**، ضمن ندوة طنجة في التاريخ المعاصر ١٨٠٠-١٩٥٦، الناشر العربي للثقافة، طنجة، ١٩٩١، ص٨٦.

(٢٧) أحمد بن خالد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، وزارة الاتصال والثقافة، الرباط، ٢٠٠١، ج٥، ص١٩٧.

(٢٨) وقد فتح الموضوع شهيتنا، وأفصح عن نهمنا حيال التنقيب في مثل هذه المواضيع الجادة في التاريخ الاقتصادي الذي لم يفرج بعد عن كنوزه، ويُعَدّ منجمًا بكرًا ينبغي كشفه.